عاليها سافلها واعزّة اهلها اذلة واذ استمتهُ طوعًا او كرهًا دخلها جيشهُ ومحى عليها ضربًا وقتلاً وتعذيبًا وسلبًا وسبيًا وحرقًا وتخريبًا . وقد بالغ مؤرخو دمشق وحلب في وصف فعالهِ واشبعوا الكلام على ذلك في رسائل خاصة . ولاشتهار حوادثهِ ببلغ المعرفة اكتفيت بالالماع اليها مع التنبيه الى ان اخبار هذه الوقعة لا تؤخذ الاَّ عن مؤرخ غير متحزب لفئة كابن خلدون واضرابهِ ممن شهدوها اوكانوا احياء فنقلت اليهم وكتبوها بتثبت وتفحص . وليقلع من الاذهان ما يتبجح بهِ بعضهم من انَّ كل خراب في هذه البلاد منشأُهُ تيمورلنك وان كان حدث بعدهُ باعوام عدة

هذا وقد حكم دمشق في هذه المدة دولتان احداهما الدولة التركية بمصر والشام وعدد ملوكها اربعة وعشرون ومدة حكمهم مائة واربع وستون سنة واولهم الملك المعز عز الدين ايبك وآخرهم الملك الصالح حاجي بن اشرف شعبان . واما الدولة الجركسية بمصر والشام فكان ابتداؤها سنة اربع وثمانين وسبعمائة وانقراضها سنة اثنتين وعشرين وتسعمائة على يد العثمانيين وعددهم ثلاثة وعشرون نفرًا اولهم الملك الظاهر سيف الدين برقوق وآخرهم قانصوه الغوري

وهاتان الدولتان التركية والجركسية وان كانتا دون من تقدمهما في الادارة الاَّ انهما تفضلان كثيرًا من الدول بحسنات ملوكهما وضبطهما البلاد ضبطًا حسنًا . ومن حسناتهما ان اهل الحل والعقد منهما كانوا ينصاعون لنصائح حملة العلم رغبة او رهبة . وكم ذكر التاريخ اخبارًا من تحكُّم العلماء النصحاء على الامراء الاقوياء تحكمًا لا يقبلهُ آحاد الناس من اعاظمهم فضلاً عن ملك من احد المتعلقين بخدمتهِ . وهذا ما دعا لان تكون مصر والشام حافلة بصنوف العلم وحفدتهِ وجرى آل عثمان وخصوصًا محمد الفاتح على مثال مجاوريهِ في تكثير سواد العلماء في بلادهِ

على انهُ حدث في أُخريات الدولة الجركسية ما يحدث للمالك عند انقراضها فيكون سببًا لاعضال داء في احشاء صدرها لا يبرأُ الاَّ بقيام دولة فتية الشباب تخلفها مكانها محمد كرد علي

العمي يبصرون

اذا ذُكرت جريدة اللانست الطبية الانكليزية وأُسند اليها قول قالتهُ او كلام نشرتهُ وعزتهُ الى احد الاطباء المشهورين واستفتحت بهِ جزءًا من اجزائها اصغى اليها القراء عالمين انهم يسمعون كلام ثقة في موضوع هو اعلم بهِ من غيرهِ ولولا ذلك ما تجاسرنا على وضع هذا العنوان لهذه المقالة لئلا يتهمنا القراء بالغلو ان لم يتهمونا بتصديق الخرافات

وموضوع المقالة خطبة للدكتور تشارلس بل تيلر جرّاح مستشفى طب العيون بمدينة نتنهام في بلاد الانكليز تلاها امام الجمعية الطبية الجراحية في تلك المدينة وصدّرت بها جريدة اللانست عددها الصادر في ٢٧ ابريل الماضي . وقد انصف الخطيب نفسهُ والعلم الصحيح حيث جعل عنوان خطبتهِ ما ترجمتهُ " المعالجة التي تنجح احياناً في شفاء العمى الذي يظهر انهُ لا يقبل الشفاء " (The sometimes successful treetment of cases of apparently incurable blindness).

وليس من قصدنا ان نترجم خطبة الخطيب كلها على ما فيها من الفوائد الجمة ولا ان نثبت كل ما ذكرهُ من التعاليل الطبية بل ان نقتصر على ذكر اساليب العلاج التي عالج بها بعض العميان فردَّ اليهم البصر . وقد قسم اساليب العلاج التي استعملها الى اربعة اقسام الاول الكهربائية على اختلاف انواعها . والثاني الادوية الزيبقية بجرعات كبيرة وحدها او مع غيرها من الادوية . والثالث المحوّلات كالفصد والحجامة والعلق (الدود) والحراريق . والرابع معالجة كل مصاب بما يناسب حالهُ من العمليات الجراحية والوسائل العلاجية . وقد ابقينا الكلام بصيغة المتكلم ولو اختصرناهُ كثيراً وتصرفنا فيهِ بتقديم وتأخير قال

من الذين عالجتهم بالاسلوب الاول رجل عمرهُ ٣٥ سنة أُرسل الى نتنهام ليتعلَّم صناعة في ملجإ العميان فانهُ عمي على اثر التهاب في العصب البصري ولما رأيتهُ كان سواد عينيهِ ابيض ولم يكن يميز بين نور النهار وظلمة الليل وقد عولج بكل وسائط العلاج العادية فلم تنجع فيهِ لكني اقنعت ذويهِ ان يأتوني بهِ مرةً او مرتين كل يوم وعالجتهُ بتيّار من الكهربائية قوي جداً قدر ما يحتمل فلم يظهر فيهِ فرق في بادىء الامر فاستنتجت ان شفاءهُ ضرب من المحال لكنني عزمت ان استمرَّ على معالجتهِ مدة أُخرى فظهر فيهِ شيء من دلائل النجاح رأى النور اولاً ميزهُ عن الظلمة ثم زاد جلاء بصرهِ رويداً رويداً يوماً بعد يوم الى ان صار يمشي وحدهُ من غير دليل واخيراً انجلى بصرهُ تماماً وعاد الى عملهِ الذي كان يعمل بهِ قبلما عمي وهو يقرأ الآن صحف الاخبار ويرى عن قرب وعن بعد تمام الرؤية وقد مضى عليهِ كذلك اثنتا عشرة سنة

والكهربائية تعيد الى الاعصاب والاعضاء عموماً قوتها اذا كانت قد ضعفت ولا شيء يقوم مقامها في ذلك ولا سيما اذا كان الضعف ناتجاً عن الانفلونزا او الدفتيريا او البول السكري او التيفوس او التيفويد او الحميات الروماتزمية . فانها قوية محللة وهي آخر واسطة يُلجأ اليها اذا ضُمر العصب البصري او ضعف البصر إما من الشيخوخة او من الامراض المنهكة او من شرب المسكرات وتدخين التبغ

وقد استفاد كثيرون من الذين عالجتهم بها وحدها او مع غيرها من الوسائل ومنهم اناس كانوا مصابين بالهستيريا او العمى المسبَّب عن شلل الشبكية او ضعف البصر الناتج عن فقر الدم او ضمور العصب البصري الناتج عن التيفويد او غيرها من الامراض المنهكة. ولا يسعني الوقت الآن لزيادة الاسهاب في هذا الباب فانتقل الى الاسلوب الثاني

وهو العلاج بجرعات كبيرة من الزبق (بيّن اولاً ان الزبيق نفسهُ لا يضرُّ ولو كانت جرعاتهُ كبيرة الاَّ بعض الذين خصُّوا بمزاج يؤثر فيهِ الزبيق كثيرًا الى ان قال)

وهنا صورة فتاة عمرها ١٥ سنة تأخذ الزبيق منذ اربع سنوات . لما رأيتها اولاً كانت عمياء لا تبصر شيئًا من التهاب القزحية والقرنية ولم تكن حدقتاها ظاهرتين وقد عالجها كثيرون من مشاهير الاطباء وحكموا انها لا تشفى لكنها شفيت تمامًا بالزبيق وجادت صحتها ايضًا

ومن الذين شفيتهم بهِ ايضًا رجل من الاعيان كان اولاً قصير البصر ثم اصيب بالالتهاب المشيمي القزحي تبعهُ انسكاب في الرطوبة الزجاجية فاظلمت عيناهُ حتى تعذَّر ادخال النور اليهما وانارة باطنهما بهِ وعولج بجرعات صغيرة من الزبيق وحكم اشهر الاطباء انهُ لا يشفى . فعالجتهُ بالكهربائية وبجرعات كبيرة من الزبيق والدلك والبيلوكربين والمحوّلات فلم يمضِ عليهِ شهر من الزمان حتى شفي تمامًا وبقي صحيح البصر الى حين وفاتهِ بعد عدة سنوات . وقد عالجت ثلاثة آخرين مرضهم مثل مرضهِ فشفوا مثلهُ احدهم من محرري الجرائد المشهورين والثاني تاجر معروف والثالث ممثلة من الممثلات الشهيرات وحينما رأيتها كان قد مضى عليها سنتان وهي عمياء وظهر لي بعد معالجتها ان في عصبها البصري ضمورًا كثيرًا فلم تشفَ تمامًا لكن شفاءها كافٍ لعودها الى التمثيل

ويستعمل الزئبق حبوبًا (الحبوب الزرقاء) ومرهمًا وبخارًا وحقنًا تحت الجلد . ويلزم غالبًا اضافة المورفيا الى الحبوب ويعطى معها البيلوكربين وجرعتهُ نصف قمحة من الداخل او يحقن تحت الجلد بعشر قمحة الى ربع قمحة

اما المحولات فافضلها الفصد (واسهب هنا في فوائد الفصد ولام الاطباء لاقلالهم منهُ وقال انهُ لا علاج غيرهُ ينجي من الموت في بعض الاحوال المرضية . وربما عدنا الى ذكر كلامهِ في هذا الموضوع في فرصة أُخرى ثم قال) اذا كانت العين رمداء تعذَّر عليها الآن اقناع احد باستخراج الدم ولكنني شفيت واحدًا حالاً بوضع سبعين علقة (دودة) على صدغهِ . ومن المحولات ما يفيد مثل استخراج الدم وذلك بتحويل الفعل العصبي من جهة الى اخرى مثل الحرديات والحراريق والكي بالحمصة واكياس الثلج واكياس الماء السخن والتنطيل ونحو

ذلك . واني اوضح ما اريد ببعض الامثلة : اذا اصابت انساناً صدمة من ادخال القناطير توقف بولهُ وسُمَّ دمهُ من جرّاء ذلك الاَّ اذا حوَّلتَ انتباههُ من كليتيهِ الى جلدهِ . واذا خافت ابنة نحيفة الجسم خوفاً شديداً فقد يصيبها خفقان القلب وجحوظ العينين ان لم يُحوَّل انتباهها حالاً الى شيء آخر . واذا كان انسان مصاباً بالربو وجاءتهُ النوبة وهو على ظهر فرس وجمح الفرس بهِ حينئذٍ زالت عنهُ نوبة الربو لان انتباههُ يتحوَّل كلهُ الى جموح الفرس . واذا كانت امرأة مصابة بشلل النصف السفلي من جسمها وسمعت واحداً يقول النار النار نهضت على قدميها حالاً وخرجت مسرعة ولو مضى عليها اشهر بل سنين كسيحة لا تستطيع المشي . والمصابون بالصرع (داء النقطة) لا تصيبهم نوباتهُ وهم راكبون على الخيل . وكلنا يعلم ان الاضطراب الشديد ينشف الريق والحس الديني يزيل الم النار ورؤية طبيب الاسنان تزيل الم الضرس .

لما انتشرت الدودة التي تأكل بنجر السكر في المانيا وخيف من انها تفسد زراعتهُ كلها انقذهُ الاستاذ كوهن منها بزرعهِ لها نباتاً آخر بجانبهِ تحوَّلت اليهِ فنجا منها البنجر . فاذا خيف على عضو من اعضاء الجسد ان يتلف من الالتهاب استطعنا ان ننقذهُ بتحويل الالتهاب الى عضو آخر لا يضرُّ التهابهُ فيتحول الفعل العصبي اليهِ ولا تستطيع الطبيعة ان تقوم بالتهابين في وقت واحد فاذا اشتدَّ الواحد ضعف الآخر . واذا خيف على البصر من التهاب اعضاء العين فاي سبيل لنجاتها اسهل واسلم من ان تحدث تهيجاً او مصرفاً في النقرة (قفا العنق) او الصدغ او الساعد او مكان آخر . ولا يخفى عليكم ان المستر بوت كان يشفي الفالج بالخلال والكي ونحوهما على جانبي العمود الفقري (سلسلة الظهر) وان المصابين بالحمى الصديدية ينقذون منها بتكوين خراجات صناعية فيهم في النسيج الخلوي في الالية او الظهر او الساق . واثبتُ ما في صناعة الطب ان حدوث الالتهاب او الصديد في مكان يبطل حدوثهُ في مكان آخر ويخففهُ لان الطبيعة لا تستطيع ان تقوم بالاثنين معاً فاذا قوَّينا الواحد ضعف الآخر . وهذا المبدأ كان اسلافنا يعرفونهُ ويعملون بهِ اكثر مما نعرفهُ نحن او نعمل بهِ

الاسلوب الرابع وهو اذا عالجتَ المصاب بتحويل انتباه اعصابهِ بالخامات والمحوّلات والمهيجات فاقطع السبب المرضي كالسكّر والحامض الاوريك بالغذاء والفصد واقطع السبب الخاص بالمرض كالنقرس والروماتزم والسفلس بالعلاجات الخاصة ثم الجأ الى العمليات الجراحية التي تقتضيها حال كل مصاب على حدتهِ كعمل حدقة صناعية واستخراج المتحصلات الالتهابية واستخراج البلورية نفسها اذا لزم الامر وقطع الاربطة فانهُ بمثل ذلك قد يعاد البصر حيث قُطع الامل من عودهِ . وهنا مثال على ذلك امرأة من سكان لندن عمرها ٢٧ سنة اصيبت منذ عشر

سنوات بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها وتردَّد عليها هذا الالتهاب مرةً بعد أُخرى ومنذ اربع سنوات سدَّت اللفا حدقتيها . وعالجها اشهر اطباء العيون وعملوا لها اربع عمليات عمليتين في كل عين فلم تستفد شيئًا على ما يظهر ولم تعد ترى شيئًا وكان الم عينيها شديدًا فقرَّر القرار على نزع عينها اليسرى وسلَّمت هي باستخراج عينها اولاً ثم رفضتهُ بتاتًا قبل استخراجها واتت اليَّ وكان الالتهاب شديدًا في عينيها فعالجتها بالحصة (بالكي) وجرعات كبيرة من الزيبق فدرَّ لعابها شديدًا حتى اتعبها ولكنهُ اراح عينيها ولما زال تعب الالتهاب كلهُ وحسبتُ انني ازلت القسم الجوهري من دائها ازلت جانبًا من اللفا والقزحية التي فسدت من عينها اليمنى فوجدت البلورية مظلمة كما تكون غالبًا في هذه الحال فعملت لها عملية القدح (اي عملية الكتركتا) حسبما تقتضيهِ الصناعة وتركت فيها حدقة رجوت انها تكفيها للرؤية لكن اللفا سدَّتها حالاً فصنعت لها حدقة ثانية فانسدَّت ايضًا ثم صنعت حدقة ثالثة فنجحت . وقد صار بصر هذه السيدة على ما يرام بعد ان بقيت عمياء اربع سنوات . وهنا كتاب منها وصفت لي بهِ سرورها بما شاهدتهُ من الزينات يوم رجوع المتطوعين الى مدينة لندن

وقد تسألونني ماذا جرى لعينها اليسرى التي حكم اطباء العيون بنزعها فاجيب اني اجريت فيها العمليات التي اجريتها في اختها اليمنى فشفيت مثلها وقد كتبت اليَّ تقول ما نصهُ " صرت ارى جيدًا بعيني اليسرى "

وهنا حادثة اخرى تظهر فيها فائدة الإقدام . هذا الشاب اصيب في العشرين من عمرهِ بالالتهاب المشيمي القزحي وعالجهُ اشهر اطباء العيون في اكبر مستشفيات العيون ثلاث سنوات واخيرًا اصيبت عيناهُ بالكتركتا ولما رأيتهُ كانت حدقتاها بيضاوين كالليمون وقلما كان يفرق بين النور والظلمة فعالجتهُ بالكهربائية والزيبقيات والمعرّقات والمحوّلات ولما صحَّ حالهُ وصار عمل العملية ممكنًا استخرجت البلوريتان من عينيهِ . وعيناهُ الآن على غاية الصحة كما ترون وقد عاد الى معاطاة اعمالهِ

ومن ذلك امرأة عميت وعمرها ٢٢ سنة وعولجت اربع سنوات من التهاب قزحي عالجها كثيرون من اطباء العيون واخيرًا اشاروا عليها ان تقيم في ملجإ العميان وحكموا بانها لا تشفى ولما رأيتها اول مرَّة كانت حدقتاها منقبضتين لاصقتين بحفظتي العدستين تسدها مادة كلسية وكانتا لينتين جدًا تحت الضغط فعالجتها بالعلاج الذي تشتدعيهِ بليتها وبالكهربائية حتى اذا صلحت حالها استخرجت المادة الكلسية من عينيها فعاد بصرها سليمًا وهنا مكاتيب منها كتبتها لي لا استطيع ان اخط احسن منها

فلو تُرك هؤلاء الناس من غير علاج لقضوا في عمى البصر سنين كثيرة او لماتوا عمياً . وهنا ما يؤيد ذلك امرأة جاءت تستشيرني في نتنهام وعمرها ستون سنة مضى عليها كفيفة ثلاثون سنة ولدت في اثنائها ثلاثة اولاد لم ترَ احداً منهم . اصيبت وهي في الثلاثين من عمرها بالالتهاب المشيمي القزحي في عينيها كلتيهما وشفيت من هذا الالتهاب بالمعالجة لكن بقي منهُ اثرٌ في عينيها . ثم عاودها فزاد ضعف عينيها الى ان كفَّ بصرها تماماً وهي على ثروة طائلة فمضت الى بلدان اوربا تستشير اشهر اطباء العيون فيها وبقيت على ذلك الى ان اتت اليَّ وكانت حدقتا عينيها قد صارتا نقطتين صغيرتين تسدهما اللفا سداً تاماً فاستخرجت البلوريتين وصنعت لها حدقة صناعية في عينها اليسرى وهي الآن تقرأ وتكتب بسهولة

وهنا رجل آخر لما رأيتهُ كان قد مضى عليهِ اربعون سنة وهو اعمى فوجدت حدقتي عينيهِ مسدودتين بمادَّة كلسيَّة فازلتها منهما وصنعت لهُ حدقة صناعية في عينهِ اليسرى وهو يرى بها الآن جيداً و يقرأ و يكتب و يجول مثل غيرهِ من المبصرين

هذه خلاصة الخطبة وكأنَّ الخطيب احيا بها صناعة العرب في طب العيون كما سنبينهُ في فرصة اخرى واثبت ما كانَ يعوّل عليهِ الاطباء والدجالون في هذا القطر والقطر السوري كما يتذكرهُ الكهول

الطاعون

مذكرة للمستر بنشنغ مدير مصلحة الصحة ملحقة بتقرير اللورد كرومر

اول اشارة عن حدوث الطاعون في بورت سعيد بلغت ادارة الصحة في ٣٠ ابريل سنة ١٩٠٠ وفي اليوم التالي قام المستر غراهم الى بورت سعيد ومعهُ الدكتور بتر بكتيريولوجي المصلحة للبحث عن الحادثة المشتبه بها واتخاذ الوسائل اللازمة لمقاومة الوباء اذا ثبت ان الحادثة منهُ . وزال كل شك بفتح الرمَّة وبالبحث بكتيريولوجياً في حادثة أُخرى كانت في المستشفى الاميري فثبت ان المرض هو الطاعون الدبلي بعينهِ ثم ثبت انهُ حدثت حوادث اخرى قبل هاتين الحادثتين كما سيجيء

والاثنان المشار اليهما كانا يسكنان غرفاً في البناء الكبير الذي فيهِ الالدرادو وراء شارع التجارة على مقربة من الرصيف احدهما يوناني والآخر سوري . ووجد لدى البحث ان امرأة توفيت في ذلك البناء في ٢٩ ابريل باعراض اتضح الآن انها اعراض الطاعون وقيل ايضاً